المطلب الثالث
شبهتهم حول آيات ورد فيها مخاطبة رسول الله ﷺ بتقوى
الله عز وجل
ونهيه عن طاعة الكافرين، ونهيه عن الشرك والجواب
عنها

زعم أعداء السنة المطهرة، والسيرة العطرة أن رسول الله ﷺ غير معصوم من الذنوب كبائرها وصغائرها، قبل النبوة وبعدها، ودليلهم ما ورد في القرآن الكريم من آيات تخاطب رسول الله ﷺ بتقوى الله ﷻ ونهاه عن طاعة الكافرين والمنافقين والكاذبين، كما تنهاه عن التكذيب بآيات الله عز وجل، وتحذره من الشك فيما أنزل عليه، ومن الوقوع في الشرك؛ ومن الآيات التي استشهدوا بها على ما زعموا ما يلي :

- 1- قوله تعالى : **يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين**⁽¹⁾
- 2- وقوله سبحانه : **فلا تطع المكذبين. ودو لو تدهن فيدهنون. ولا تطع كل حلاف مهين**⁽²⁾
- 3- وقوله عز وجل : **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسل الذين يقرءون الكتاب من قبلك**⁽³⁾
- 4- وقوله : **ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين**⁽⁴⁾
- 5- وقوله : **ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين**⁽⁵⁾

1 () الآية الأولى الأحزاب 0
2 () الآيات 8 - 10 القلم 0
3 () الآية 94 يونس 0
4 () الآية 65 الزمر 0
5 () الآية 95 يونس، وينظر : ممن قال بهذه الشبهة، نيازي عز الدين في كتابيه، إنذار من السماء ص 174، 176، 182، 437،

ويجاب عن ما سبق بما يلي :

أولاً : لا حجة للخصوم في التعلق بظواهر الآيات التي استشهدوا بها على عدم عصمته ﷺ صح من سيرته ﷺ - أنه كان أتقى وأخشى خلق الله عز وجل، وما كذب بآيات ربه تعالى، ولا يشك فيما أنزل عليه، ولا أشرك بالله طرفة عين أو أقل منها، ولا أطاع أحداً من الكافرين، أو المنافقين، أو الكاذبين. ومن زعم خلاف ذلك فليبينه لنا، فالأصل براءة الذمة حتى يثبت العكس، وهذه قاعدة أصولية، تحدد الأصل في كل شيء، وهي تعني أن كل منهم بريء حتى تثبت إدانته... فالمتهم بالشرك أو الشك، أو بأي ذنب آخر هو بريء منه، حتى تثبت إدانته بما اتهم به بالدليل الشرعي! ﷻ
فهل من دليل شرعي على ما افتروه على رسول الله ﷺ من عدم عصمته؟! ولكن أنى لأعداء الإسلام، وخصوم السنة المطهرة دليل شرعي بعد شهادة القرآن الكريم له بالخشية والخوف من الله تعالى في غير ما آية. منها :

1- قوله تعالى : **﴿ قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾**⁽¹⁾

2- وقوله سبحانه : **﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾**⁽²⁾

وهذا وإن كان أمراً من الله عز وجل أن يقول ذلك، فهو أيضاً تقرير لحقيقة حاله ﷺ، ووصف له في المعنى بتلك الصفة الإيمانية العليا ﷻ

وفى الآية أيضاً شهادة له ﷺ بأنه ما أطاع أهل الكفر في أهوائهم؛ وقد كان أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام كلهم بمحل الخشية والخوف من الله تعالى، كما وصفهم بذلك بقوله : **﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ﴾**

ودين الرحمن المدخل إلى الحقيقة ص 223، وأحمد صبحي منصور في كتابه الأنبياء في القرآن دراسة تحليلية ص 40، 41، 44، ومشروع التعليم والتسامح لأحمد صبحي وغيره ص 137، والإسلام بدون حجاب (كتاب مستل من شبكة الإنترنت) ص 37، وجريدة الدستور عدد 31 / 12 / 1997 مقال لأحمد صبحي منصور ﷻ

1 () الآية 15 الأنعام ﷻ

2 () الآية 15 يونس ﷻ

ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين⁽¹⁾ فهذا تقرير لحقيقة حاله ، وشهادة له بأنه ما شك فيما أنزل إليه، ولا سأل أهل الكتاب، وكان من عباد الله المؤمنين المخلصين 0

وفى إخلاصه فى عبادته لله تعالى يقول عز وجل : **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**⁽²⁾ فهذا القرآن الكريم يلحق النبى 0 أن يعلن للملأ هذه الحقيقة الكامنة فيه لما علمها الله تعالى منه 0

وقد كان 0 يطبق هذا التوجيه القرآنى، فكان يقول عند قيامه إلى الصلاة "وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً، وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى وممات لله رب العالمين. لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين"⁽³⁾ 0

فهل بعد كل هذه الشهادات، يصح قول أعداء الإسلام، وخصوم السيرة العطرة أن رسول الله 0 غير معصوم من الشرك والشك؟! 0

ثانياً : الأوامر والنواهي الواردة فى القرآن الكريم فى حق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، هى أوامر ونواهي إرشاد وإعلام على جهة الوصية والنصيحة، وهى أحد دلائل العصمة، فوجودها لا يخل بالعصمة بناء على ما تقدم فى تعريف العصمة، فى بقاء الاختيار فى أفعالهم تحقيقاً للابتلاء⁽⁴⁾ 0

ثالثاً : لله عز وجل أن يؤدب أنبياءه وأصفياه، ويطلبهم بالنقير والقطمير من غير أن يلحقهم فى ذلك نقص من كمالهم، ولا غض من أقدارهم، حتى يتمحصوا للعبودية لله عز وجل 0

ألا ترى كيف نهى الله تعالى رسول الله 0 عن النظر لبعض المباحات فقال : **لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا**

1 () الآية 104 يونس، وينظر : التفسير الوسيط للدكتور محمد

سيد طنطاوى المجلد 7/139، 140 0

2 () لإيتان 162، 163 الأنعام 0

3 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء فى صلاة الليل 3/309 رقم 771 من حديث على رضى الله عنه 0

4 () يراجع ص 5، 6 0

**تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين. وقل إني أنا
النذير المبين⁽¹⁾ مع قوله تعالى فى مقام آخر: **قل من حرم زينة
الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق⁽²⁾****

فتأمل كيف أن الله عز وجل لم يحرم التمتع بالزينة، وأكل الطيبات إذا كانت من كسب الحلال، ومع ذلك نهى رسول الله ﷺ عن النظر إلى زينة الحياة الدنيا، وهى من المباحات، فكيف يحرم النظر إليها؟! "إن ذلك ما هو إلا لأن الله تعالى أخذ الأنبياء بمثاقيل الذر لقربهم عنده، وحضورهم، وتجاوز عن العامة أمثال ذلك، فإن الزلة على بساط الآداب، ليست كالذنب على الباب، كما لا يخفى على أولى الألباب، ممن قالوا: حسنات الأبرار سيئات المقربين"⁽³⁾

وتأمل قوله ﷺ يوم فتح مكة: **"إنه لا ينبغي لنبى أن تكون له خائنة الأعين"**⁽⁴⁾ يعنى: الإشارة بالعين فى الأوامر حتى يفصح بها، والإشارة بالعين فى الأوامر مباحة لغير الأنبياء، لكن نهى عنها الأنبياء تنزهاً وتأكيذاً لرفع الالتباس"⁽⁵⁾

إن رب العزة يأمر رسوله ﷺ بما يشاء، وإن استحال تركه، نحو قوله تعالى: **يا أيها النبى اتق الله**⁽⁶⁾ وقوله سبحانه: **فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر**⁽⁷⁾ وقوله عز وجل: **واتبع ما يوحى**

1 () الأيتان 88، 89 الحجر 0
2 () الآية 32 الأعراف 0
3 () شرح الشفا للقارى 1/69، ويراجع ص 127 0
4 () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الحدود، باب الحكم فىمن ارتد
4/128 رقم 4359، وفى كتاب الجهاد، باب قتل الأسير ولا
يعرض عليه الإسلام 3/59 رقم 2683، وصحح إسناده ابن تيمية
فى الصارم المسلول ص 109، وأخرجه النسائى فى سننه كتاب
تحريم الدم، باب الحكم فى المرتد 7/105 رقم 4067، والبيهقى
فى سننه كتاب الجزية، باب الحربى إذا لجأ إلى الحرم، وكذلك
من وجب عليه الحد 9/212 والحاكم فى المستدرک 3/47 رقم
4360 وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى 0
5 () تنزيه الأنبياء لعلى السبتى ص 84، 85، وينظر: الخصائص
الكبرى للسيوطى 2/414 0
6 () جزء من الآية الأولى الأحزاب 0
7 () الأيتان 9، 10 الضحى 0

إليك واصبر حتى يحكم الله (8) وقد كان من أتقى وأخشى خلق الله عز وجل (2) وما قهر يتيماً، وما نهر سائلاً، وإنما كان مثلاً أعلى للبذل والعطاء حتى شهد له ربه عز وجل بذلك بقوله : **فلا أقسم بما تبصرون، ومالا تبصرون. إنه لقول رسول كريم** (3) وهو ما شهدت به سيرته العطرة قبل أن يأتيه وحى الله تعالى وبعده 0

فقد وصفته خديجة رضى الله عنها بقولها : "إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل (4) وتكسب (5) المعدوم، وتقرى الضيق، وتعين على نوائب الحق" (6) فهي تصفه بهذه الصفات البالغة عظمة وخطورة، التي كان عليها قبل بعثته ورسالته، ولم يكن قد تحمل أعباء أمته، ولا قد أضفت عليه النبوة زيادة كمال وعظمة، فكيف به بعد ذلك كله؟! لا جرم أن كرمه بعد ذلك سيكون بالغاً ذروة الذرى فى كرم الأنبياء وسائر البشر، وهو ما دلت عليه الدلائل النقلية الكثيرة منها ما روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : "ما سئل رسول الله شيئا قط فقال : لا" (7) وهو ما يؤكد ما سبق من أن رب العزة يأمر نبيه بما شاء، وإن استحال عليه تركه، وَمَنْ عِنْدَهُ خِلاف ذلك فليأتنا به؟!

كما أن رب العزة ينهى رسوله عما يشاء، وإن لم يكن وقوعه منه كما قال تعالى : **ولا تمنن تستكثر** (8) أى لا تعط شيئاً لتطلب أكثر منه، لأنه طمع لا يليق بك، بل اعط لربك، واقصد به وجهه (9) وهكذا كان خلقه 0

-
- 1 () الآية 109 يونس 0
 - 2 () يراجع الشواهد على ذلك ص 130 - 132 0
 - 3 () الآيات 38 - 40 الحاقة 0
 - 4 () هو الثقل من كل ما يتكلف من عيال ونحوهم. النهاية فى غريب الحديث 4/198 0
 - 5 () بضم أوله، وكسر ثانيه، كما هى إحدى روايات الحديث، وهو الأوجه فى ضبطها كما رجحه النووى فى شرح مسلم 1/481 رقم 252، ومعناها : تعطى الناس ما لا يجدونه عند غيرك 0
 - 6 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب بدء الوحي 1/301 رقم 3، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله 1/474 0
 - 7 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل 10/470 رقم 6034، ومهمل (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله 0
 - 8 () الآية 6 المدثر 0

وقال سبحانه : **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه**⁽¹⁾ وما كان طردهم من مجلسه، وما كان من الظالمين أى ممن ظلمهم بطردهم، لأنه لم يقع منه ذلك 0

فعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : كنا مع النبى ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبى ﷺ : اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل، وبلال ورجلان لست أسميهما. فوقع فى نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع. فحدث نفسه. فأنزل الله عز وجل : **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه**⁽²⁾ 0

وهذا أصح ما روى فى سبب نزولها. وعند الحاكم فى مستدرکه جاء هذا الحديث عن سعد أيضاً ولم يذكر فيه ما جاء فى رواية مسلم من قول سعد "فوقع فى نفس النبى ﷺ ما شاء الله أن يقع. فحدث نفسه، فنزلت الآية" 0

وإنما الذى جاء فى حديث الحاكم أن سعداً قال : "نزلت هذه الآية فى خمس من قريش أنا وابن مسعود فيهم، فقالت قريش للنبى ﷺ : لو طردت هؤلاء عنك جالسناك! تدنى هؤلاء دوننا، فنزلت **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه**... إلى قوله... **أليس الله بأعلم بالشاكرين**⁽³⁾ ولا يخلو هذا من الإشعار الذى أشعر به حديث مسلم فى كلام سعد، وإن كان حديث مسلم أصرح فى الإشعار من حديث الحاكم 0

ولعل حديث الحاكم دخله شئ من الاختصار، أو أن حديث مسلم روى بالمعنى فدخله شئ من التفصيل 0
وحديث سعد - عند مسلم - صريح فى أن العتاب فى الآية وقع على ما حدث به النبى ﷺ نفسه. وهذا على فرض التسليم به لا يقدر فى عصمته ﷺ، لأن همه ﷺ بذلك كان ابتغاء مرضاة الله تعالى، برجاء إسلام قومه، وذلك لا يضر فى

9 () المواهب اللدنية للقسطلانى وشرحها للزرقانى 7/144، 145 0

1 () الآية 52 الأنعام 0

2 () الآية 52 الأنعام، والحديث أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه 8/199 رقم 2413 0

3 () الآيتان 52، 53 والحديث أخرجه الحاكم فى المستدرک 3/360 رقم 5393 وقال : صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى 0

نفس الوقت أصحابه رضى الله عنهم لعلمه ﷻ بأحوالهم ورضاهم بما يرضاه⁽¹⁾ وإلا فما ورد على لسان سعد من همه ﷻ بالاستجابة لاقتراحهم لا حجة فيه، فقد أخبر بحسب ظنه، وأخبر عن أمر لا يعلمه إلا علام الغيوب المطلع على أسرار قلوب خلقه 0

ويؤكد أن الإخبار عن هذا الهم بحسب ظن الراوى، وأن رسول الله ﷻ ما كان ليطردهم، ما أنزل عليه ﷻ من قبل آية الأنعام، مما جاء على لسان نوح عليه السلام جواباً على مثل اقتراح كفار قريش. قال تعالى: **﴿وما أنا بطارذ الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوماً تجهلون. ويا قوم من ينصرنى من الله إن طردتهم أفلا تذكرون﴾**⁽²⁾

وهذا ما تؤكد الروايات السابقة، وشواهدا من حديث ابن مسعود رضى الله عنه⁽³⁾ وخباب رضى الله عنه⁽⁴⁾ حيث لم يرد فى شئ منها أن رسول الله ﷻ طرد أحداً من أصحابه فى مجلسه 0 بل الروايات جميعها على أنه بمجرد اقتراح أهل الشرك على رسول الله ﷻ أن يجعل لهم يوماً يجلسون معه دون الفقراء والعيبد، نزلت الآية جواباً على اقتراحهم أو سؤالهم، بنهيه ﷻ عن ذلك قال تعالى: **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه﴾**⁽⁵⁾

وهذه مئة من الله عز وجل على رسوله ﷻ، حيث عاتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد العثرات الصورية، وأدب نبيه ﷻ بأشرف الآداب، وأجل

1 () ينظر: شرح الزرقانى على المواهب 9/32 0

2 () الأيتان 29، 30 هود 0

3 () أخرجه أحمد فى مسنده 4/420، والطبرانى ورجال أحمد رجال الصحيح غير كردوس وهو ثقة، كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 7/ 20، 21 0

4 () أخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب الزهد، باب مجالسة الفقراء 2/ 544، 545 رقم 4127 وسنده صحيح كما قال البوصيرى فى مصباح الزجاجاة 3/276، 277 رقم 1462، وقال ابن كثير بعد أن أورده من رواية ابن أبى حاتم فى تفسيره 3/255، وهذا حديث غريب، فإن هذه الآية مكية، والأقرع بن حابس، وعيينه، إنما أسلما بعد الهجرة بدهر. قلت: يحتمل أن يكون الأقرع وعيينه نزلًا

بمكة، وكانا ممن قال به كفار قريش، فلا غرابة أه والله أعلم 0
5 () الآية 52 الأنعام 0

معلق بمستحيل، فكما لا تنقسم الخمسة على متساويين، فكذلك الشرط في الآيات السابقة لا يكون منه 0، لا وقوعاً ولا جوازاً 0

خامساً : وقيل في الجواب عن الآيات التي معنا، أن الخطاب في الظاهر فيها للنبي 0 والمراد بها غيره، إذ هو معصوم من مخالفة الأوامر، وارتكاب النواهي الواردة في الآيات، ومستحيل عليه فعلها، لعصمة الله عز وجل له، وإنما هذا إفهام لغيره من المسلمين، أن الرسول 0، وهو رسول رب العالمين، ذو المنزلة الرفيعة، والمقام الأسمى عند الله عز وجل، إن افترض وقوع ذلك منه، فإن الله تعالى يجازيه على ما فرط، فكيف إذا فعل ذلك أحد من المؤمنين؟! فسيلقى عقابه من باب أولى، وذلك أيضاً إيضاح لقدرة الله عز وجل، وأنه عدل، ولا يحابي أحداً من خلقه فليس أحد من المشركين بمأمن من عذابه تعالى حتى ولو كان نبياً، وهنا يفهم المؤمنون عامة، هذه الحقائق، فيرتدعون عن المعاصي والذنوب والآثام، خوفاً منه تعالى وخشية، مادام سبحانه لا يستثنى أحداً من عذابه، إن أشرك.. حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام – ولكنهم لا يشركون لعصمة الله عز وجل لهم⁽¹⁾ 0

ومن ظن بأن الله تعالى يمكن أن يُقدّر على الأنبياء، وعلى خاتمهم 0 ارتكاب الكبائر من الكفر والشك أو نحو ذلك، فقد ظن السوء بربه، أعوذ بالله تعالى من الخزي والخذلان، وسوء الخاتمة والمنقلب أهـ 0

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلم

¹⁰ () ينظر : التفسير الكبير للرازي 12/170، والبحر المحيط لأبي حيان 4/86 0

¹ () ينظر : نوال المنى في إثبات عصمة أمهات وأزواج الأنبياء من الزنى للشيخ محمد نسيب الرفاعي ص 114، 115 0

وعصمة سيدنا رسول الله ﷺ من كيد إبليس وجنوده هو وسائر الأنبياء،
ثابتة لهم بكتاب الله عز وجل، فهم على رأس عباد الله المخلصين الذين لا
سلطان للشيطان عليهم لقوله: **﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ كَيْلًا﴾**⁽¹⁾ وقد تقدم تفصيل عصمته ﷺ من
الشيطان الرجيم في قلبه وعقيدته وخلقه منذ الصغر بنزع العلقة السوداء -
حظ الشيطان - من قلبه ﷺ وعلى هذا إجماع الأمة، كما قال القاضي عياض:
"واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان وكفايته منه، لا في
جسمه بأنواع الأذى، ولا على خاطره بالوساوس"⁽²⁾ 0

وهو بذلك يبين حقيقة العصمة من الشيطان، وأنها لا تتعارض مع تعرض
الشيطان لخاطره ﷺ بالوساوس 0
واستدل القاضي على ذلك بحديث ابن مسعود مرفوعاً: **"ما منكم من
أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة، قالوا:
وإياك يا رسول الله؟ قال: وإيأي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم. فلا
يأمرني إلا بخير"**⁽³⁾ 0

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بتصدى الشياطين له في غير موطن رغبة
في إطفاء نوره، وإماتة نفسه الشريفة، وإدخال شغل عليه، إذ يئسو من إغوائه
فانقلبوا خاسرين، كتعرضه له في صلاته فأخذه النبي ﷺ وأسرته⁽⁴⁾ وقد سبق ذكر
نماذج من هذه الأحاديث⁽⁵⁾ التي تتفق في ظاهرها مع الآيات التي استدل بها
خصوم السيرة العطرة على عدم عصمته ﷺ من الشيطان، دون أن يفهموا
حقيقة ظاهر هذه الآيات، وهو: أن المراد بقوله تعالى: **﴿وإِذَا يَنْزِعُكَ مِنَ
الشَّيْطَانِ نَزْعًا فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**⁽⁶⁾ أي يتعرض لك
الشيطان بأدنى وسوسة - إذ النزغ أدنى الوسوسة، فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم، يكفى أمرك، ويكون سبب تمام عصمتك⁽⁷⁾، إذ لم يسلط عليه بأكثر من
التعرض له، ولم يجعل له قدرة عليه⁽⁸⁾ وهو ما أكدته الأحاديث المشار إليها 0

1 () الآية 65 الإسراء 0

2 () الشفا 2/117 0

3 () سبق تخريجه ص 50 0

4 () سبق ذكره وتخرجه ص 51 0

5 () يراجع ص 50 - 52 0

6 () الآية 200 الأعراف 0

7 () على ما سبق في تعريف العصمة من بقاء الاختيار للنبي

المعصوم في أقواله، وأفعاله تحقيقاً للابتلاء. يراجع ص 5 وما
بعدها 0

ثانياً : ما يتوهم من قدرة الشيطان على النسيان حيث أسند النسيان بسبب الشيطان إلى ضمير خطابه ﷻ في قوله تعالى : **﴿ وإما ينسينك**

الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين (1) ﷻ فليس في الآية دليل على تسلط الشيطان على النبي ﷺ، لأن فعل الشيطان في هذا النسيان، لا يعدو أكثر من شغل خاطره ﷻ وتذكيره أكثر فأكثر بحرصه على إسلام قومه، مع شدة كفرهم وعنادهم، وطعنهم في آيات الله عز وجل، فيكون شغله وتذكيره بهذا الحرص، سبباً في نسيان الإعراض عنهم حتى يخوضوا في حديث غير حديث القرآن الكريم، وهذا ما يقتضيه سياق الآية الكريمة : **﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين** (2) ﷻ كما أن هذا المعنى هو ما يقتضيه واقع حال النبي ﷺ في دعوته (3)

والنسيان في هذه الحالة لا طلب عليه في الشرع، ولا ذم بالإجماع، كما أنه لا يتعارض مع عصمته (4)

فالسهو والنسيان من الأنبياء في الأفعال البلاغية، والأحكام الشرعية جاز في حقهم، وهو ظاهر القرآن الكريم، والسنة النبوية، وهو مذهب جمهور العلماء من الفقهاء والمتكلمين (5)

وفرقوا بين ذلك، وبين السهو في الأقوال البلاغية : فأجمعوا على منعه، كما أجمعوا على امتناع تعمده، لقيام المعجزة على الصدق في القول، ومخالفة ذلك تناقضها (6)

أما السهو في الأفعال البلاغية، فغير مناقض لها ولا قارح في النبوة، بل غلطات الفعل، وغفلات القلب من سمات البشر، كما قال ﷻ : **" إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني "** (4) وحالة النسيان والسهو هنا - في الأفعال البلاغية - في حقه ﷻ سبب إفادة علم، وتقرير شرع،

8 () ينظر : الشفا 2/120، والمواهب اللدنية وشرحها للزرقاني 9/

32, 33 0

1 () الآية 68 الأنعام 0

2 () الآيتان 67، 68 الأنعام 0

3 () ولم يخالف في ذلك إلا الشيعة وغيرهم ممن سبق ذكرهم

0 139 ص هامش

"والغين" بالغين المعجمة الغيم، والمراد هنا ما يتغشى القلب من السهو الذى لا يخلوا منه البشر⁽¹⁾ وذكر العلماء عدة أقوال فى المراد بالحديث منها ما يلي :

- 1- قال القاضى عياض : المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذى كان شأنه الدوام عليه، فإذا افتر عنه أو غفل عد ذلك ذنباً، واستغفر منه 0
- 2- أن الغين همه بسبب أمته وما اطلع عليه من أحوالها بعده، فيستغفر لهم، وسببه اشتغاله بالنظر فى مصالح أمته وأمورهم، ومحاربة العدو ومداراته، وتأليف المؤلفه، ونحو ذلك فيشتغل بذلك عن عظيم مقامه، فيراه ذنباً بالنسبة إلى عظيم منزلته. وإن كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات، وأفضل الأعمال، فهى نزول عن على درجته، ورفيع مقامه من حضوره مع الله تعالى ومشاهدته ومراقبته وفراغه مما سواه، فيستغفر لذلك 0

3- أن الغين هو السكينة التى تغشى قلبه، لقوله تعالى : **ثم أنزل الله سكينته على رسوله**⁽²⁾ ويكون استغفاره إظهاراً للعبودية والافتقار، وملازمة الخشوع وشكراً لما أولاه⁽³⁾ 0

- 4- أن الغين حاله خشية وإعظام، والاستغفار شكرها، ومن ثم قيل : خوف الأنبياء والملائكة خوف إجلال وإعظام، وإن كانوا أمنين عذاب الله تعالى 0
 - 5- أن الغين ليست حالة نقص فى حاله، بل هو كمال أو تنمة كمال ومثال ذلك : بجفن العين حين يسيل ليدفع القذى عن العين مثلاً، فإنه يمنع العين من الرؤية، فهو من هذه الهيئة نقص، وفى الحقيقة هو كمال. فهكذا بصيرة النبى ﷺ متعرضة للأغيرة الثائرة من أنفاس الأغيار، فدعت الحاجة إلى الستر على حدقة بصيرته صيانة لها، ووقاية عن ذلك⁽⁴⁾ 0
- قلت :** والأقوال السابقة معناها محتمل، وجائزة فى حقه ﷺ، ولا تناقض عصمته. أهـ. والله أعلم 0

وأما قوله حين نام عن الصلاة يوم الوادى لما عاد من خير أو من الحديدية و بطريق تبوك روايات⁽⁵⁾ : **"فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان"**⁽⁶⁾ وفى رواية قال ﷺ : **"إن هذا واد به شيطان"**⁽⁷⁾ 0

1 () النهاية فى غريب الحديث 3/362 0
2 () الآية 26 التوبة 0
3 () المنهاج شرح مسلم للنووى 9/29، 30 رقم 2702، والشفاء 2/106، 107 0
4 () ينظر: فتح البارى 11/104، 105 رقم 6307، وشرح الزرقانى على المواهب 7/131 - 140 0
5 () شرح الزرقانى على المواهب 9/35، وينظر : فتح البارى 1/534 رقم 344، والمنهاج شرح مسلم 3/202 رقم 680 0
6 () جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة 3/197 رقم 680 من حديث أبى هريرة رضى الله عنه 0